بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس: 28 **الأستاذ: سماحة العلامة الشيخ معين دقيق**

الدرس: تفسير القرآن الكريم **المبحث: سورة لقمان**

التاريخ:08\12\2021 م **كتبه: عبدالله ضيف الستري البحراني**

ما زال في الآية الثالثة عشر في قوله: ﴿وَإِذْ قالَ لُقْمانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ وبقي لنا نقاط نكملها اليوم.

النقطة الأولى: ما أشرت إليها في البحث السابق، أن هناك جملة من الآيات لسانها لسان ومن أظلم ممن، التي يرجع مفادها إلى قولنا: ليس شيء أظلم من كذا وكذا، فتدل حينئذ لباً على التفاضل، أكثر الذنوب ظلماً هو منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه، فيلزم من ذلك أن يكون هذا الذنب أعظم من الشرك بالله الذي وصفته آية لقمان بأنه ظلم عظيم.

والحال أن هذا الأمر خلاف ما هو مسلم عند الجميع، سواء عند المتكلمين أم المفسرين أم الفقهاء، وهذا في الواقع يرجع إلى صغرى وكبرى، يرجع إلى مقدمتين:

المقدمة الأولى: أن يقال مثلا: إن منع المساجد أعظم الظلم، كما يستفاد من هذه الصيغة.

المقدمة الثانية: الشرك ظلم، من أين أتينا بأن الشرك ظلم؟ من الآية الثالثة عشر من لقمان، فالنتيجة بأن منع مساجد الله أعظم من الشرك؛ لأن الآية قالت هكذا.

الصغرى تكون الشرك ظلم لآية لقمان، ومنع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه أعظم الظلم، فتكون النتيجة أن منع مساجد الله أعظم من الشرك.

هذه الشبهة قل من ذكرها من المفسرين، في الواقع لم أجد أحداً ذكر هذه الشبهة بمقدار تتبعي سوى الفخر الرازي في تفسيره الكبير، وأجاب عنها بالجواب التالي: أن الأمر سهل، مثل هذه الآيات القائلة ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه، هذا عام، وكل عام له قابلية التخصيص، فآية لقمان

تخصص هذه الآية، هذه الآية تقول: لا شيء أعظم ظلماً من منع مساجد الله، لا شيء صيغة عموم، تأتي آية لقمان تقول في شيء آخر أعظم، وهو الشرك، فلها قابلية التخصيص.

هذا الوجه صحته تتوقف على أن يكون هذا اللسان غير آب عن التخصيص عرفاً، وإلا فلا يصح هذا الوجه. على كل تقدير يمكن أن نجيب بأجوبة أخرى عن هذه الشبهة. من جملة الأجوبة بأن نقول: الجواب الأول: أن هذا التعظيم إضافي، وليس تعظيماً على نحو الحقيقة، نظير عندما تصلي على الميت، تقول: اللهم لا نعلم منه إلا خيراً، والحال في كثير من الأحيان تعرف منه الشر، كثير من الذين نصلي عليهم، نعرف أن بعضهم كان تاركاً للصلاة، كان شارباً للخمر، سواء صغائر أم كبائر، فكيف نقول لا نعلم منه إلا خيراً، فيقولون هذا الحصر حصر إضافي، مثلاً بالإضافة إلى الكفر لا نعلم منه الإيمان؛ لا أنه حصر حقيقي في مقابل تمام الذنوب، وإلا يصبح كذباً. كذلك فيما نحن فيه في مثل هذه الآيات، هذا التعظيم تعظيم إضافي، وليس تعظيم على وجه الإطلاق، ولا بد حينئذ أن نتتبع كل مورد بحسبه لنعرف إلى أين ينظر إليه في هذه الآيات. نظير ﴿وَما مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾[1] له صفات أخرى، لكن هذا الحصر جاء بلحاظ ما يعتقده المخاطب بأن رسول الله صلى الله عليه وآله خالد لا يموت، هذا شائع في القرآن الكريم.

الجواب الثاني: أنه إذا تتبعنا موارد هذه الآيات نرى أن في تمامها كان الحديث عن المشركين، فالذين يمنعون مساجد الله أن يذكر فيها اسمه هم مشركون مكة، الذين يفترون على الله الكذب هم المشركون من بعض الأديان، فإذن منع مساجد الله زائد الشرك يكون أعظم من الشرك؛ لأنه فيه شرك وزيادة.

النقطة الثانية: في قوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ هل الشرك هو ظلم للنفس أم ظلم للغير؟ الظلم من مفاهيم ذات التعلق، لا بد أن تتعدى إلى مظلوم، هل المظلوم هو نفس المشرك أم المظلوم هو غير المشرك، على كل تقدير إذا قلنا أن المظلون هو غير المشرك فليس هو الله سبحانه تعالى، لأن الله لا يضره كفر من كفر ولا ينفعه إيمان من آمن، ما يفهم من الآيات أن المشرك يظلم نفسه، من جملة الآيات ما ورد في سورة البقرة ﴿وَإِذْ قالَ مُوسى لِقَوْمِهِ يا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ

[1] آل عمران 144

باتّخاذكُمُ الْعِجْل﴾[2] يعني لعبادتهم العجل، وهذا من أبرز مصاديق الشرك، الظاهر والواضح، فظلمتم أنفسكم، ومن جملة الآيات في قوله تبارك وتعالى: ﴿مَثَلُ ما يُنْفِقُونَ في هذه الْحَياة الدُّنْيا كَمَثَلِ ريحٍ فيها صِرٌّ أَصابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُم﴾[3] هؤلاء القوم من المشركين من أهل الكتاب؛ لأن هذه الآية واردة في سورة آل عمران، وقبل هذه الآية بعدة آيات يقول تعالى: ﴿لَيْسُوا سَواءً مِنْ أَهْلِ الْكتاب أُمَّةٌ قائمَةٌ يَتْلُونَ آيات اللَّه آناءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُون﴾[4] من أهل الكتاب هناك طائفة موحدة ﴿يُؤْمِنُونَ باللَّه وَالْيَوْمِ الْآخرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوف وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسارِعُونَ في الْخَيْرات وَأُولئكَ منَ الصَّالحين﴾[5] هؤلاء كلهم طائفة من أهل الكتاب ﴿وَما يَفْعَلُوا منْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَليمٌ بِالْمُتَّقين﴾[6] ثم يتكلم عن طائفة ثانية ﴿إِنَّ الَّذينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ منَ اللَّه شَيْئاً وَأُولئكَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فيها خالدُون﴾[7] من أعمال هذه الطائفة الثانية أنهم ينفقون هذه الأموال لغير الله، نوع من الشرك ولذا قال تعالى: ﴿مَثَلُ ما يُنْفِقُونَ في هذه الْحَياة الدُّنْيا كَمَثَلِ ريحٍ فيها صِرٌّ أَصابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُم﴾[8] فإذن الشرك بالدرجة الأولى يعود ضرره على ذات المشرك. نعم، بمقتضى أن الشرك في المجتمع يضر بالمجتمع يمكن أن نقول عنه أنه ظلم للغير، ولكن بالدرجة الأولى المشرك ظالم لنفسه، كما تدل على ذلك هذه الآيات.

النقطة الثالثة: المشرك في القرآن الكريم مضافاً إلى ظلمه لنفسه هو فاقد للأمن، فاقد للراحة النفسية، فاقد للطمأنينة ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظيم﴾ في سورة الأنعام يقول الباري تبارك وتعالى: ﴿الَّذينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إيمانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولئكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُون﴾[9] في بعض الروايات أنه عندما سمع بعض الصحابة هذه الآية ضجوا، ما منا مؤمن إلا وصدر منه ظلم، وذهبوا إلى النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، فقال لهم: المقصود من الظلم الشرك، واستشهد بما جاء في سورة لقمان ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظيم﴾ وهذه الآية المباركة تدل على الانحصار ﴿أُولئكَ لَهُمُ الْأَمْنُ﴾ لا لغيرهم، فالذي يأمن هو الذي يكون إيمانه خال من الشرك، وهذا رد على ما جاء في الآية التي قبلها، هذه الآيات تتكلم عن نبي الله

---

[2] البقرة 54
[3] آل عمران 117
[4] آل عمران 113
[5] آل عمران 114
[6] آل عمران 115
[7] آل عمران 116
[8] آل عمران 117
[9] الأنعام 82

إبراهيم عليه السلام، تقول الآية: ﴿وَحاجَّهُ قَوْمُهُ قالَ أَتُحاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدانِ وَلا أَخافُ ما تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاَّ أَنْ يَشاءَ رَبِّي شَيْئاً وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ(80) وَكَيْفَ أَخافُ ما أَشْرَكْتُمْ وَلا تَخافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ﴾[10] تريدون مني أن أخاف من أصنامكم ومن أفعالكم المشركة، وأنتم لا تخافون من الله سبحانه وتعالى ﴿وَلا تَخافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ ما لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطاناً فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ﴾[11] فعندما جاءت الآية التي بعدها دلت على الحصر، أن فريق الإيمان الخالص الذي لا يشوب إيمانه شرك أولئك هم الآمنون، ومقتضى إطلاق الآية هذا الأمن لا يختص بأمن الآخرة، بل هو أمن في الدنيا، طمأنينة في الدنيا، وطمأنينة في الآخرة، فالشرك باعث على التردد، على الخوف، على الحالات النفسية التي تؤدي إلى سلب الأمن من المشرك؛ لأن المشرك تزيّا بزي غير ما أوجده له الله سبحانه وتعالى، الله خلقنا في تكويننا في جبلتنا موحدين، نرتبط بالله تبارك وتعالى، نتعلق به، أنت أيها الإنسان موجود ذات تعلق بالله، هكذا خلقنا، عندما نرتدي ثوباً مغايراً لثوبنا فنعيش حالة اليأس، حالة التردد، حالة عدم الطمأنينة، بخلاف المؤمن الذي لا يشوبه شرك، ولذا قال علي بن الحسين عليه السلام: إذاً لا نبالي وقعنا على الموت أم وقع الموت علينا، في أحلك الظروف، وفي أشد الحالات، يعيش حالة الأمن والطمأنينة.

جعلنا الله وإياكم من المؤمنين الذين لا يشوب إيمانهم شرك.

---

[10] الأنعام 80 - 81

[11] الأنعام 81